الذيب

اسمي الذيب ، والكل يناديني بهذا الاسم ، واهل الحي كلهم يكرهونني ويخافون مني الا الكلاب والقطط ، مع انني لم اكن اكره احدا، وكنت صغير السن نحيل الجسم لا قدرة لي الا على الخطف والجري ـ كانت الشوارع تتعب من رجلي ، ولا تتعب رجلاي من الشوارع .

ـ رد بالك هاوجا الذيب ..

ولم اكترث لهذا القول فقد تعودت اذناي على سماعه ، والتفت الرجل الثاني كمن اخذ على غرة ، وتحسس محفظة نقوده في جيبه ، ثم نظر اليّ في اشمئزاز وشفتاه تتمتمان :« باسم الله الرحمن الرحيم ، (ما زلت اتدور هنا ؟!) ، واخرجت له لساني وضحكت ضحة وقحة زالت من حنقه ، ثم اسلمت ساقي للريح وتركته يسب ويلعن .

كانت امي وهي على قيد الحياة كثيرا ما تقول : ان بطن الذئب دائما ممتلئة لانه سريع الجري ، كثير التنقل يحصل على قوته حيثما كان ... ولكن لماذا اجد بطني دائما فارغة ؟! مع انني ورثت من الذئب اسمه وجميع صفاته ما عدا اكل لحم البشر . ووقفت امام مخبزة عمي قدور ، المشهور باسم (الحاج صوفة طايرة) . وكان الحاج (صوفة) يقف الى المنضدة الكبيرة بقامته العظيمة وكرشه المنتفخة ، وامامه كدس من الخبز المدور . وغصصت بريقي وانا اتأمل خبزة منتفخة في طرف المنضدة ، ثم غمزت لها بعيني ، وتقدمت خطوة الى الباب .

ـ صباح الخير عمي الحاج ..

وشهق الرجل واتسعت عيناه للمفاجأة .

ـ اذهب يا كلب .. ما زلت اتدور هنا ؟!

ـ اعطني خبزة .. انها لن تضرك .. آنا جوعان .

ـ اعطيها للكلاب ولا اعطيها لك .

ـ اعطها للذيب فهو خال للكلاب .

ـ قلت لك امش ..

والتفت يمنة ويسرة يبحث عن شيء يقذفني به . ما كاد يفعل ذلك حتى كنت انا في الرصيف المقابل ، اضحك من حركته التي ارتج لها بطنه ، ثم سرت استحث الخطى نحو مبنى البلدية ، وفي طريقي رأيت كلبا منكبا على شيء يأكله في الزاوية ، واقتربت منه قليلا . كان يأكل خبزا يابسا . حينما احسن حركتي راح يهر ويحدجني بنظرة غاضبة .

ـ اهكذا تفعل يا ناكر الخير .. كم مرة قاسمتك الخبز الطري ، وتبخل عليّ الان بالخبز اليابس ؟

وتقدمت من الكلب في حذر ، واخذت امسح على ظهره بيدي ، الى ان اطمأن اليّ .. وفي هذه اللحظة عاجلته بضربة من قدمي أطارت الخبز من فمه ، فعوى وفر هاربا . وتناولت الخبز وجلست آكله .. كان يابسا كالحطب لا تكاد اسناني رغم متانتها ان تكسر حدته ، فرميته، وندمت على ضرب الكلب وحرمانه من خبزه .

وزاد الخبز اليابس مني احساسي بالجوع ، حتى مشيتي السريعة صارت مرتخية .. يا الله ، الناس كلهم صاروا يحذرونني ، ومنذ يومين لم اصادف رجلا طيبا او مغفلا . وجار الزمان على الجائع . آه ، يا لبطني ، يا للجوع ، يا للذئب الذي اشتاق الخبز ، فما بالك باللحم ؟.

ووجدت نفسي مرة اخرى امام مخبزة (الحاج صوفة طايرة) انظر الى الخبز واغمز له بعيني .. وفكرت ، لا بد من حيلة احصل بها على الخبز ، ووجدتها ، فتقدمت ويدي تشير نحو الطرف الاقصى من منضدة الخبز .

ـ عمي الحاج هناك ورقة نقدية مرمية على الارض ..

ولخوفه مني على الورقة النقدية ، صدق قولي ودس رأسه تحت المنضدة يبحث عنها في لهف .. وبسرعة الذئب اختطفت خبزة سمينة وانطلقت اعدو في الشارع الطويل .. وعند المنعطف التفت ورائي فرأيت الحاج يرفع يديه في الهواء ويلوح ، ويصف للفضوليين الذين التفوا حوله بسرعة ، ما حدث . وضحكت من منظره ذلك ثم واصلت عدوي .

واستقر بي قدماي عند عمي حمدان الاسكافي . كان كعادته يرفع

حذاء ويغني بصوته المبحوح اغنية بدوية .

ـ عمي حمدان ، هل ترغب في اكل شيء من الخبز ؟

وقطع غناءه ، ونزع نظارته من على عينيه ، ثم تفرسني جيـــدا واستقرت عينه على الخبز اخيرا .

ـ نعم ، بودي ان آكل ، ولكن اخاف ان تطعمني الحرام ، فانت ولـد ...

ـ اقسم لك انه حلال طيب .

وافتنع عمي حمدان بقسمي ، فقدمت له قطعة من الخبـــز .. والتفت حولي مجموعة من القطط والكلاب الضائعة ، فرحت اقاسمهـــا الخبز واحدث اليها واضحك : ـ كلوا الخبز من عند الحاج صوفة لا كثر الله خيره ..

بينما كنت منشغلا بالاكل وتوزيع الخبز على القطط والكلاب واذا بقبضة قوية تمسك بذراعي ، واذا باخرى تنزل على وجهي قوية عنيفة ، كادت تفقدني وعيي .. كانت قبضة الحاج صوفة طايرة .

ـ أتخطف مني الخبز لتوزعه على الكلاب والقطط يا ابن الحرام؟! هيا معي الى مركز الشرطة .

وقادني ذليلا مهانا ، تتبعني لعنات عمي حمدان ، وتحت ابطي بقية الخبز ، ومن ورائي الكلاب والقطط .. ودخلنا مركز الشرطة وروى لهم قصته معي كاملة وزاد على ذلك بان جميع اهل الحي يشكون مني ويعانون من سرقاتي .

واخذ ضابط الشرطة يسألني :

ـ ما اسمك

ـ الذيب

ـ أهذا اسمك ؟

ـ نعـم

ـ عمرك ؟

ـ ثلاثة عشر عاما .

ـ اين تسكن ؟

ـ ليس لي سكن .

ـ هل لك أهل ؟

ـ لا ..

ونظر اليّ في شك ثم قال :

ـ اياك ان تكون كاذبا فيما تقول !..

واقسمت له على صدق ما افول .

والتفت الى الحاج صوفه يسأله :

ـ هل تعرفه قبل اليوم ؟

ـ ومن لا يعرفه من اهل الحي ؟! فهو يعيش دائما على الخطف والسرقة .

وهز الضابط رأسه مقتنعا بما قال ثم سألني :

ـ لماذا اختطفت الخبز من هذا الرجل ؟

ـ لانني كنت جائعا .

وهز الضابط رأسه مرة اخرى واشار لمساعده قائلا :

ـ احجزه حتى نبحث في امره جيدا .

وقادني الشرطي امامه .. ولم أنس بقية الخبز فاخذته من على مكتب الضابط . والتفت الشرطي اليّ فوجدني أحمل الخبز في يدي فسألني مندهشا : (لماذا ؟) ووجدت نفسي اسأله في سذاجة :

ـ وهل ستعطونني خبزا في السجن ..

وابتسم الشرطي واجابني .

ـ نعم سنعطيك الخبز .

فقلت له :

ـ اذن افضل ان ابقى في السجن ما دام الخبز متوفرا .

الجزائـر

احمد منور

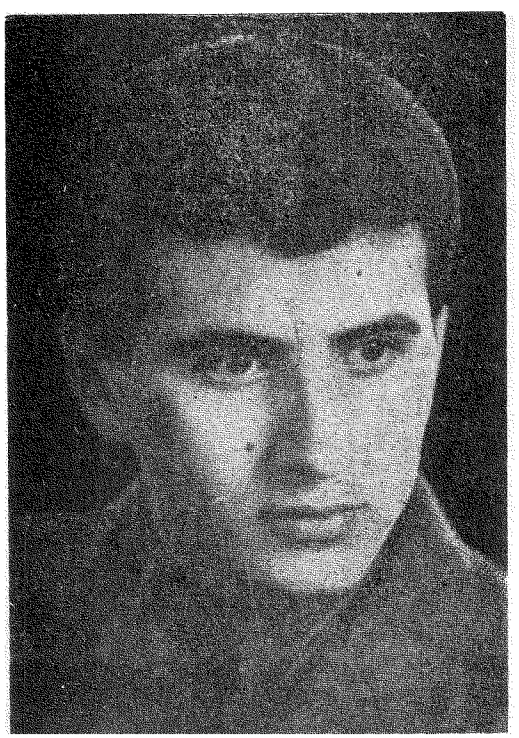

مرائي سميح القاسم

قصيدة طويلـة

وحدي على الاســوار
عذّبني حبــي
غرّ بني شعبي ولا شعبــي
وأغلقت بنادق الغزاة
نــوافذي
واطفأت حبيبتي من خوفها الانوار

الرسوم بريشة جمانة الحسيني

صدر حديثا ١٥٠ ق . ل

منشورات دار الآداب